

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

رمضان 1420 - خواطر إيمانية - الدرس : 09 - من سورة المائدة - الأمانة.

13-12-1999

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

**تميز المؤمن بأمانته و صدقه وإنجازه للوعد :**

أيها الأخوة الكرام؛ ألا لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له، سيُدنا جعفر حينما وَصَفَ للنجاشي هذا الدين العظيم قال:

**(( أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، حتى بعث الله إلينا رسولاً - صفاته البارزة - منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه ))**

[ابن خزيمة عن جعفر بن أبي طالب]

الشيء الذي يميّز به المؤمن أمانته وصدقته ووفاءه بالعهد وإنجازه للوعد، فهذه السورة سورة المائدة تُفتتح بهذه الآية:

**﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾**

[سورة المائدة: 1]

الإنسان حينما ينقض عهده، وحينما لا يفي بوعدِهِ يخرج من دينه، الدين ليس عباداتٍ شعائريّة، الدين عبادات تعامليّة، الذي يجذب الناس إليك ليس صلواتك ولكن معاملتك، فقد وَرَدَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن:

**(( استقيموا يُستقم بكم ))**

[ الطبراني عن سمرة ]

الموقف الصادق وحده دعوة، الأمانة وحدها دعوة، العفة وحدها دعوة، أنت كُن عفيفاً، وكُن أميناً، وكُن صادقاً، أنت أكبر داعية وأنت صامت دون أن تنطق بكلمة واحدة:

**﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾**

[سورة المائدة: 1]

والإنسان عندما ينقضُّ عهده، ولا يفي بوعدِهِ، يُسَقَطُ كُلُّ عِبَادَاتِهِ، ورد عن السيِّدة عائشة أنها قالت: " قولوا لِفُلان إنَّهُ أَبْطَلَ جِهَادَهُ مع رسولِ الله "، الإنسان إذا خَانَ العَهْد ولم يَفِ بالوعد أَبْطَلَ كُلَّ عِبَادَاتِهِ، فقد أَبْطَلَ جِهَادَهُ مع رسولِ الله، فيجب أن يبقى هذا في ذهن المؤمن. الآن مشكلة المسلمين أَنَّهُمْ فَهِمُوا الدين في النهاية عِبَادَاتٍ شَعَائِرِيَّةٍ مع أَنَّ الدين صِدْقٌ، وأمانة، واستقامة، وِعَقَّةٌ، فإن فعلتَ هذا الآن مقبولة مِنكَ كُلَّ العِبَادَاتِ الشَعَائِرِيَّةِ:

**﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾**

[سورة المائدة: 1]

### الاستقامة تبعد الإنسان عن الاعتداء على الآخرين :

النقطة الدقيقة أَنَّ هذا المسلم نموذج عجيب، هذا الذي جَعَلَ الإسلام يتوسَّع، هذا الذي جَعَلَ الإسلام ينتشر في الأفاق، ما الذي جَعَلَ المُسلم يصل إلى الصين وإلى قُرب باريس غرباً؟ الاستقامة، فالله عزَّ وجل يقول:

**﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ ﴾**

[سورة المائدة: 2]

أي لا يجرِّمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ، أي بُغْضُ قَوْمٍ، من هُوَ العدو التقليديُّ للمؤمن؟ الكافر، الكافر بِكُفْرِهِ، والكافر بجريمته، والكافر باستعلائه، والكافر بِغَطْرَسْتِهِ، والكافر بِظُلْمِهِ، والكافر بانتهاك الحُرُمَاتِ، ما يفعله الكافر جرائم كلها، ومع ذلك:

**﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ﴾**

[سورة المائدة: 2]

ممنوعٌ أن تعتدي على إنسان ولو كان كافراً، ولو كان مجوسياً، ولو كان عابِدَ صنم، ولو كان مُلجِداً،

**﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾**

لا يجرِّمَنَّكُمْ،

**﴿ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ﴾**

لذلك عَظْمَةُ هذا الدين أَنَّ الله جَلَّ جلاله لا يُقَرِّبُ إلا من كان كاملاً، أما أي إنسان قوي فيكفي أن تُعَلِنَ ولاءك لَهُ فيُقرِّبك، ولا يعبأ بِسلوكك، ، يقولون إنَّ سَيِّدَنَا رسول الله دُعي أن يُمَثَلَ بِبعض الكُفار فقال عليه الصلاة والسلام: " لا أُمَثَلُ بِهِمْ فَيُمَثَلُ اللهُ بِيَّ ولو كُنْتُ نَبِيًّا "، الإيمانُ قَبْدُ الفَتَكِ، أنت مُقَيِّدٌ بالشرع، مُقَيِّدٌ بسلوك المؤمنين، إذا المُسلم نموذج صارخ، ما الذي يجذبُ الناسَ إليه؟ أَنَّهُ يَقِفُ عِنْدَ حدودِ الله، أَنَّهُ لا ينتقم، لا يظلم، لا يبغي، لا يعتدي، لذلك اللهُ عزَّ وجل لا يُمكن أن يُقَرِّبَ إنساناً إلا إذا كان كاملاً:

## ﴿ وَ لِلّٰهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾

[سورة الأعراف: 180]

لن تستطيع أن تدعو الله إلا بكمالٍ مشتقٍ من أسمائه الحسنى، أي الله عزّ وجل كريم فيُقربّ الكريم، ويقبل الكريم، الله عزّ وجل عادل فيقبل العادل، الله عزّ وجل رحيم فيقبل الرحيم، لن تستطيع أن تتقرب إلى الله إلا بكمالٍ مشتقٍ منه، أما بعبادات شعائريّة و بالإساءة إلى الخلق فالطريق مُغلق، هذه الآية واضحة:

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

[سورة المائدة: 2]

وهذه الآية أصل والله، أي تعاون على الإثم والعدوان مُحَرَّم، وأيّ تعاون على البرّ صلاح الدنيا، والتقوى صلاح الآخرة، هذا تعاون مقبول بل مندوبٌ إليه.

### التوسع في الزواج من الأجنيات يُسبب مُشكلات كبيرة جداً :

هناك مفارقةٌ عجيبة هو أنّ الله عزّ وجل سَمَحَ لنا أن نتزوَّج المحصنات من الذين أوتوا الكتاب، فالإنسان يذهب إلى بلاد الغرب ويتزوَّج امرأة هذه ليست مُحصنة، قيلَ أن تلتقي معك التقت مع مئات، فهذه مُحَرَّمة أن تقترن بها، الآية واضحة:

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾

[سورة المائدة: 5]

فالتوسع في الزواج من الأجنيات يُسبب خراب البيوت، يُسبب مُشكلات كبيرة جداً، هذه لا تبقى مع رجل فترة طويلة، فإذا أنجب منها أولاداً أخذت أولادها وهربت بهم، وهناك من يحميها، وهناك من يُقويها، وهناك من تلتجئ إليه، فذلك الآية الكريمة:

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾

[سورة المائدة: 5]

وهؤلاء الذين أوتوا الكتاب تركوا كتبهم كلياً، وتركوا عقيدتهم، وهم لا يدينون بشيء، الشيء الذي لا يُصدّق الآن أنّ الزواج في بلاد الغرب ألغي، أي لا يوجد عقد، ولا زواج إسلامي ولا نصراني ولا زواج مدني، ولا يوجد عقد أبداً، يسكنُ معها وتسكنُ معه وفي أي لحظة يلفظها، حينما تترك الناس منهج الله عزّ وجل وقعوا في شرّ أعمالهم، فهنا الآية:

## ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾

[سورة المائدة: 5]

هذه ليست مُحْصَنَةً، وَهُنَاكَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ عِلَّةَ الزَّوْجِ مِنَ الْكِتَابِيَّاتِ أَنَّ الْإِسْلَامَ قَوِيٌّ جَدًّا، وَالابْنُ يَأْتِي بَدِينِ أَقْوَى الْأَبْوِينَ، فَإِذَا ضَعُفَ الْإِسْلَامُ وَقَوِيَ أَهْلُ الْكُفْرِ فَالابْنُ سَيَأْتِي بَدِينِ أَقْوَى الْأَبْوِينَ، وَهَذِهِ مُشْكَلَةٌ ثَانِيَةٌ، أَيُّ الْابْنِ يَعْتَزُّ بِدِينِ أُمِّهِ، وَبِقُوَّةِ أَهْلِ أُمِّهِ.

### ثَمَنُ مَعِيَةِ اللَّهِ الْخَاصَّةِ :

الشَّيْءُ الَّذِي يَلْفِتُ النَّظَرَ هُوَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا كَانَ مَعَكَ فَمَنْ عَلَيْكَ؟ وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَمَنْ مَعَكَ؟ أَيُّ إِذَا كَانَ اللَّهُ مَعَكَ لَا يَوْجَدُ عِنْدَكَ أَيَّةَ مُشْكَلَةٍ، خَالِقِ الْكُونَ الْقَوِيَّ، الْعَزِيزِ، الْجَبَّارِ، الْغَنِيِّ هُوَ مَعَكَ إِلَّا أَنَّ مَعِيَةَ اللَّهِ لَهَا ثَمَنٌ:

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾

[سورة المائدة: 12]

مَعِيَةُ اللَّهِ الْعَامَّةُ مَبْدُولَةٌ لِكُلِّ إِنْسَانٍ:

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾

[سورة الحديد : 4]

مَعَكُمْ بِعِلْمِهِ، لَكِنْ مَعِيَةُ اللَّهِ الْخَاصَّةُ هَذِهِ لَهَا ثَمَنٌ، ثَمَنُهَا أَنْ تُقِيمَ الصَّلَاةَ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْ تَوْتِيَ الزَّكَاةَ، وَأَنْ تَنْصُرَ الْحَقَّ، فَإِنْ دَفَعْتَ الثَّمَنَ نَلْتَهُ هَذِهِ الْمَعِيَةُ.

### ضَرُورَةُ تَأْمَلِ وَحِفْظِ الْقَوَانِينِ الْكُلِّيَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :

أَيُّهَا الْأَخُوَّةُ الْأَكَارِمُ؛ يَوْجَدُ فِي الْقُرْآنِ قَوَانِينٌ، إِنْ وَجَدْتَ مَجْتَمَعًا فِيهِ عِدَاوَاتٌ، خِصُومَاتٌ، مَتَحِيدٌ، أَحْزَابٌ، كُلُّ طَرَفٍ يَطْعَنُ بِالطَّرْفِ الْآخَرَ، هَذَا الْمَرَضُ الْخَطِيرُ فِي الْمَجْتَمَعِ الَّذِي يُفْتُ فِي عَضُدِهِ، هَذَا الْمَرَضُ الَّذِي يُضَعِفُ قُوَاهُ، الْمَنَازَعَاتُ، الْخِلَافَاتُ، الْعِدَاوَةُ، الْبِغْضَاءُ، الْحَسَدُ، مَا سَبَّبَهُ؟ سَبَبُهُ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ فَتَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعِدَاةَ وَالْبِغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾

[سورة المائدة: 14]

وَأَيُّ مَجْتَمَعٍ نَسِيَ الَّذِي دُكِّرَ بِهِ أَيُّ لَمْ يُقِمِ مِنْهَجَ اللَّهِ فِي حَيَاتِهِ، أَوَّلُ ثَمَرَةٍ مِنْ ثَمَارِ هَذَا التَّفَلُّتِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُغْرِي بَيْنَهُمُ الْعِدَاةَ وَالْبِغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

أنا أتمنى على الأخوان الكرام هذه القوانين الكليّة في القرآن الكريم أن يتأملوها ويحفظوها، مثلاً  
التيسير:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾

[سورة الليل: 5-7]

التعسير:

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى \* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾

[سورة الليل: 8-10]

الحياة الطيبة:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّاهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

[سورة النحل: 97]

الشقاء في الحياة الدنيا:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

[سورة طه: 124]

هذه قوانين وهذه سنن وهذه أسس لا تتبدل ولا تتغير، هنا أي مجتمع رأيتُه يُعادي بعضه بعضاً، يطعن ببعض، مُنقسم، متمزق، مُشردم، السبب أنه تَرَكَ منهجَ الله، الآن ضيق الدائرة: بيت إذا أحد الزوجين يعصي الله تنشأ مشكلات لا تنتهي، تنشأ العداوة والبغضاء، كل بيت متفقت فيه عداوة وبغضاء، وكل بيت فيه انضباط شرعي فيه حُب، الحُب ثمُّهُ الانضباط، تنضبط بمنهج الله فتُحب الذين حولك، ويُحبك الذين حولك، فإذا تَفَلَّت أحدهما نشأت مشكلة، فالذي يسعى إلى الوئام والود والحُب فيما بين زوجين، فيما بين أخوين، فيما بين جارين، فيما بين مؤمنين، كلما التزم المؤمنون نشأ الحُب بينهم، وكلما تَفَلَّت المؤمنون عن منهج الله نشأت بينهم العداوة والبغضاء، والآية واضحة جداً هذه كلها قوانين:

﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

[سورة المائدة: 14]

من يتفقت من منهج الله يقع كيد الكافر عليه :

البارحة ذكرت:

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَصْرُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾

[سورة آل عمران: 120]

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾

[سورة إبراهيم: 46]

مكر الكفار مخيف، أي ما حققوا من مكرهم واحد بالألف، وهذا الذي يُحققونه جعل العالم كله خراباً، وجعل العالم كله يُحاربُ بعضه بعضاً، الآن أي بؤرة متوترة صنع المكر، في أندونيسيا مثلاً الطوائف متفاهمة منذ ثلاثمئة سنة فنشأت مشكلة وعقبها حرب وعقبها قتال، فحينما يتفألت الناس من منهج الله يقع كيد الكفار عليهم:

﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ﴾

[سورة آل عمران: 120]

هذه آيات أساسية يسمونها أياماً مفصلية، أي قوانين أنت إذا آمنت بها تغدو الحياة رائعة وسعيدة بفضل تطبيق هذه القوانين.

### المؤمن مسالم أما المتفالت من منهج الله فتمطه عدواني :

الآن على مستوى مسجد من الذي يُعادي؟ من الذي يُبغض؟ من الذي يطعن؟ المُقصر، المُقصر في دينه، المُتفالت من منهج ربه يُصبح نمطه عدوانياً، المؤمن مسالم، المؤمن رحيم، المؤمن يلتمس لأخيه عُذراً ألف مرة: " التمس لأخيك عُذراً ولو سبعين مرة "، فتجد المُضطرب مسالماً، من طرفه لا يوجد إلا كل أمن، وكل راحة، الإنسان عندما يغلط وينقطع عن الناس يُصبح حاسداً، عندما أصبح حاسداً صار مُغتتاباً، من الحسد إلى الغيبة إلى النميمة، فتجد هذه الأمراض النفسية تُفتت المجتمع الإسلامي، وأنا ذكرت سابقاً أنه الآن يوجد مظاهر إسلامية صارخة جداً، لكن يُقابلها عداً وبغضاء بين المؤمنين، أما لو كان هناك انضباط بمنهج الله عز وجل لرأيت الوئام والحب بين المؤمنين بشكل عجيب، أنا الذي أتمناه على الله عز وجل ولو كانت مساحة صغيرة في الأرض يُطبَّق فيها الدين تطبيقاً حقيقياً، أي مجتمع صغير ولو كان مجتمع مسجد إذا فيه ود، وفيه حب، وفيه التزام، هذا المجتمع ينمو، أما مهما كان الحجم كبيراً من دون حب فتمزق، مُشردم، مُقطع الأوصال، فنحن الآن بحاجة إلى التزام من أجل أن نُحب بعضنا بعضاً، الإنسان أحياناً يعجب أنه شخص مُسلم من بني جلدتك يتفنن في إيقاع الأذى بك، يتفنن، لوجه من؟ لوجه الشيطان، مُسلم ومن جلدتك ومن بني قومك يتفنن في إيقاع الأذى بك لوجه الشيطان، هذا من بُعد عن الرحمن، كلما اقتربت من الله امتلأ قلبك رحمةً، وكلما ابتعدت عنه امتلأ القلب قسوةً، والقسوة ينعكس منها الفظاظة والغلظة والاستعلاء والكبر، والرحمة ينعكس منها الود واللين، لذلك قال الله تعالى:

﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾

[سورة آل عمران: 159]

بسبب رحمة استقرت بقلبك يا محمد كنت لينا لهم، لو أن القلب كان منقطعاً عن الله لامتلأ قسوةً، ومع القسوة فظاظة، ومع الفظاظة نفور واضطراب، فكل واحد منا يقدر طاعته لله يلتفت الناس حوله، ويقدر معصيته لله ينفض الناس من حوله، وهذه قاعدة ثابتة في الإسلام.